الأغنية الأخيرة



16

تأليف: تشانج شيانج - هو

ترجمة: جمال قواسمى

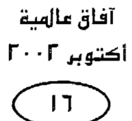
مراجعة: زكريا محمد



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية





الأغنية الأخيرة

(شعر)

تشانج شيانج - هو

ترجمة :

جمال قواسمى

مراجعة :

زكريا أحمد

● لوحة الغلاف : الحلم الأرجوانى

للفنان الصينى : تنج شاو جوانج

● التصميم الأساسى للغلاف :

عـمـر جـهان

آفاق عالمية : سلسلة تُعنى بنشر ترجمات مختارة

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى - رقم بريدى : ١١٥٦١

نجم يبزغ

فجأة تأخذك الأحاديث الرقيقة إلى عالم اليقظة
وسط الحشد المرح الصاخب، وتتهادى الهمسات إلى أذنيك
جداول متشعبة كثيرة جدًا، بعضها عميق، وبعضها الآخر ضحلٌ،
وهى تتنشّق أنفاسها ما بين الكلمات
وتفتح أذنيك لمن ليس
بوسع الريح ولا النار ولا الرعد ولا البرق
أن يُثيره
ولكنَّ ظهوراً مفاجئاً لنجمٍ
يوقظك من نعاسك العميق.

طائرٌ فضىٌّ

قبل إقلاع الطائرة، زوجة فى قاعة المطار
تكتب على عجل رسالة إلى زوجها
على منديل مائدة ورقّىٍّ أبيضَ
لتذكِّرَهُ بأن يدفع فواتير المياه والكهرباء
ويسقى النباتات كلَّ صباح ومساء
معنوياتها عالية، والسماء زرقاء
ومَشعةٌ مثل زجاج صقيل
تنظر نحو الحقل الواسع الذى تكسوه الحشائش تحت النافذة
وها هو طائر فضىٌّ يوشك أن يحلِّق بها
وحدها
بعيدًا
جدًا
عن
البيت

القفص

الأسود والنمور فى الأقفاص
ليس لها لغةٌ
إلا لغة أن تذرع المكان جيئةً وذهاباً
تلتهم الطعام حين تجوع
تضطجع لتنام حين تتعب
تلهو أحيانا وتمرح قليلا
أو تطلق زئيرا عميقا.
وهى لا تفيق من غفوتها الكسولة
إلا حين تتثاءب تثاؤبًا طويلاً طويلاً
وتتمطّى.

آداءٌ حيّ

فى الريح، والمطر، والصقيع، والثلج
فى أقواس قزح، فى الشمس، وضوء القمر
عبر طريق الحياة الطويل، الطويل
تتغيَّر الأدوارُ
وتُستبدلُ المواقعُ
ويتشتَّت الشمل ويجتمع مرة بعد أخرى
وتظهر للعيان الأحزان والمسرَّات
فقط لأنَّه
توجد ملوحة فى الدموع
واشتياق فى الفؤاد.

الوجوه محفورة فى الخشب
والأجساد تتوالد فى الحجر
على مسرح الحياة الفسيح المتحرك.
أضواء المسرح تبهر العيون.

الطّبول والأجراس تدوّى.

كلمات وأساليب غنائية مختلفة

تجعل البطلَ، والجمَّالَ، والشرطىَّ

وصيادَ السمك، والحطَّاب

وغرائزَ الذكور والإناث، والوجهَ المتنكر

والعجوزَ، والمهرجَ

يأتون جميعا إلى الحياة.

حادث سيارة

نهاية تُكْتَبُ بسرعة لنصٍ
هذه القصة العجيبة.
حياةٌ مديدة
منضودة على قطعة ورق بيضاء خشنة
ومطبوعة بالحبر الأسود
والحبر لم يجفَّ بعد

الجمهور يركِّز انتباهه على الشاشة
حين تتوقف فجأة الموسيقى
وتغطي الشاشةَ ورقة سوداء
وتظهر كلمة وحيدة:
النهاية
خارج السينما
يتواشج الدخان والمطر
ويصبحان ضبابًا
يكفِّن طريق آذار الجبلية.

براعم الكرز تنافس الواحدة الأخرى تحت المطر
فرادى وجماعات متوهّجة
لتكتسى بالأحمر الزاهى
وتغدو آثارا لدموع الأم.

المعرض

لا أحد يملك عادة إغلاق الباب وراءه

دخول، خروج، دخول، خروج

ويُصفقُ البابُ ويُضربُ بعنف

وتنضمُّ ريح شعواء إلى جوقة الفوضى

ووو... آآآآآآآ...

ويبدأ الباب بالإفلات من مِفْصَلاته.

وكيل الأعمال مشغول بالترويج

ومحرر الصحيفة قلقٌ من تسرُّب القصة إلى الصحف الأخرى

الحشود الفضولية تحاول التسلل لترى ما يحدث

وتتزاحم عند الباب وتسدُّ الطريق

بملامحها، أقدامها

جبهاتها، وجناتها

وشفاهها طبعا

يتكلمون بلا توقف

يتكلمون، يتكلمون، يفتحون أفواههم

يتكلمون، يتكلمون، يتكلمون، يتكلمون بلا توقف

ويحوّلون الباب الذى غدا بلا مِفصلات إلى باقة من الألوان: الأحمر، والأخضر، والأصفر، والبنفسجى.

الفنان

يُطل برأسه ليعلن أمام الجميع:

صالة العرض ليس لها جدران

لذا فما فائدة الباب؟

تقدَّموا وانظروا ما شئتم

يخطو الفنان عبر الباب ليقول:

"اعذرونى؛ سأذهب فى طريقى"

الاحتفاظ بالمطر

لا يُمكن الاحتفاظ بقطرات المطر
حين تشرع ماء آذار المتفتِّحة بالصحو
عصفات الريح تبخِّرها على حافة النافذة
مثل مشاعر حزن
أُزيحت بإهمال

بعد تبرعمها الوفير
تأخذ الأزهار فى الخارج بالتغضُّن
على فاكهتها التى تحملها
أما الطيور التى ترقص على الأغصان
مستعرضة براعتها الموسيقية
فلن تتذكَّر البتلات فى الوحل

النهر يتدفّق بجزالة

متقافزاً ليلتقط قطرات المطر

عاكسًا الصبور الظلّية للأزهار المتشابكة

فى قلب التيّار المتدافع

ثم يغنى أغنية ليواسى

البزعمات المتساقطة الغافية.

كوب الشاى

لا تلُم كأس الشاى!
فقد خُلِقَت
كى تُشبع لسانك وشفتيك المتراخيتين
اللتين نَحِلَتا واتَّخذتا هيئتهما الحالية.
إنَّها تدعك تمسكها وتداعبها
وهى تأسر شذى شايكَ
وتُطلقُ جدولا من السائل الصافى
لتنظِّف حموضة أعماقك.

إبريق الشاى

إنَّه يحوى مياه باردة من نبع جبلى
مرَّت فى أنهار واسعة، عميقة
وآبار عامة ضجَّت حولها الحركة.

بعد تعرُّجات طويلة
لم تَعد المياه تملك خيار تحديد مصيرها؛
وحين تغنِّى فى إبريق الشاى
فإن قصة حياتها تغلى مبقبقة
لحنا حزينا

صورة فى المرآة

فى الصباح، على مقعد الخُيلاء
وأنا أواجه المرآة
يفعمنى السرور برؤية شىء غريب
ورقة خضراء مبرعمة
عند أسفل رقبتى
ورقة خضراء مزرّقة يكسوها مخمل جميل
تحمى كلَّ المسام الحية الصغيرة
للورقة الخضراء سطح خشن غير متناسق
وحافة منشارية ذات تصميم دقيق
يجرى المطر وضوء الشمس فى شرايينها
ويمرحان وهما يلعبان "الزقطة".

وعند الغسق بينما أواجه المرآة
أجلس ثانيةً على مقعد الخُيلاء
وأرى منظرا مختلفا غريبا ومرعبا
تحت قُبَّة ثوبى الواسعة:

ورقة أخرى مبرعمة
بعود قوى وصلب
وضلع أوسط طويل وقاسٍ
تتشعَّب منه جداول جميلة، حادة، ومرتبة
ذات أوعية شعرية ريشية، وألياف أُجيد نسجُها
أما الشكل فواضح جدًّا حتى أن بوسعكِ أن تعدَّ خطوطه.

إنَّ شبكة الزمن التى حيكتْ بكثافة
قد غربلت الشباب، البهجة، الشهرة، الثراء
السعادة، الرضى، القلق، والمعاناة.

لقد حوَّلنى النتح
إلى نوع
من ورقةٍ
رشيقة، شفَّافة خفيفة وجافة.

فى انتظار الثلج

الثلج شبكة كبيرة تغطى السماء والأرض
لا أحد بوسعه أن ينجو من معركة تشكُّلها المدهش
والبحيرة التى تجمَّدت بدرجات حرارة دون الصفر
اتَّشحت بسمة جادة
ثمة أعمدة للمصابيح، بيض كالأشباح، تقف متينة وطويلة
فى الشارع المقفر
أما الجرس الذى يُقرع ثلاثا وثلاثين مرَّة فى الليل الصموت.
فهو يُسمَعُ مرة إثر مرة
مثل تنهيدة متعَبة.

فى الفترة ما بين الثلج وغيابه
أى فى خريف العمر تماما
ثمة أشياء، دون غيرها، اتَّخذت شكلا واضحا
فى حين أن أشياء أخرى فشلتْ
وإذا ما أصاب الليلة صقيعٌ بين الغسق والفجر
فإنَ قصة ندُفة ثلج سُداسية

ستكون خرافة جميلة
لكى تفسِّرها الكتب
وتلمسها الأصابع

لكن الخشية
هى ألا تأتى اللحظة التى تتشكَّل فيها الثلوج أبداً
نار الإثارة انطفأت
وشمس الصباح تشعُّ متألقةً فى يوم صافٍ لكنَّه قارس
ومثل كثير من مظاهر الجمال فى الحياة
التى لا تنال فرصة لتبرز إلى الوجود وتتجذَّر
ليس للندفة عمرٌ وليس لها مكان.

سيؤول، خريف ١٩٩١

عود ثقاب لم يمسَسْه الماء

الحربُ مستمرَّةٌ ولا تلوح فى الأفق أيةُ هدنة
ماذا بوسعنا أن نفعل؟
أيةُ رائحة بقيت فى هواء بلغراد
الآن وقد تلاشى شذى الأزهار؟
جفَّ البئر فى الساحة
فما الجدوى
من إبريق الفخار بعد الآن؟

لقد تجمَّد قلبى
قبل أن يلمس البردَ الشتوى المرَّ
الذى افترش الجبال بزمن طويل
وقد لاحظ شخص ما إن منحدرات الأنـهار
الرقيقة مثل نصل السكين، نـحتت هذه الوديان
أما الزرقة التى لا تخبو لفريسكو
الأديرة وهى أغلى من الذهب
فقد جُلِيتْ ها هنا منذ أمدٍ طويل عبر طريق الحرير

وهذه كلها أُحجيات لا حلول لها

اقرأوا الشعر! اكتبوا الشعر!

أنا عودُ ثقاب لم يمسسهُ الماء

حُكَّنى برفقٍ

فاشتعلُ واحترق.

(بلجراد، شتاء ١٩٩١)

تحف تذكارية

وكذلك يستطيع المرء أن يشترى التحف التذكارية
قبل أن يغادر
وشاح، نبتة حريرية
إشَّارة صفحات أنيقة، مفكِّرة صغيرة
بعض الناس يجمعون العملات وآخرون مغرمون
بطوابع عليها صور الحشرات
بعضهم يحبُّون العطر
وبعضهم الآخر يفضّلون أعمال التطريز اليدوية
فناجين شاى، صحون خزف، غلايين، قفازات
أو أىَّ كنز تحت الشمس
لكن هل يوجد لهذا كله متَّسع فى الحقيبة؟
الدانوب رحَّال كبير
يجتاز بلغراد
دافقا كسيل جارف إلى البحر الأسود
الساحل والجزر ادَّمغت جميعا فى متاهة مسحورة

ظِلٍّ الريح والتيار الخافق
يؤلِّفان صندوقَ موسيقى ساحرةٍ
افتتان جرسية الكنيسة القديمة بالنجوم
ينسج بطاقة معايدة مترامية الأطراف
قراءة الشعر فى المكتبة المجاورة
على وشك أن تُؤسر فى شريط.
اللوحات المعاصرة ذات الألوان الجريئة
التى تغمر جدران قلعة الجامعة
توقف المارّين.
نعم كل هؤلاء
هم تذكارات جمعتها هى طوال الوقت
لكن لا مكان لها فى الحقيبة
بل يجب أن تتركها فى بلغراد

رحلة بلا تذكارات عنها
رحلة موحشة خاوية
فيها يطارد المسافر الشمسَ إلى نهايات الأرض
أنا أيضا تحفة تذكارية

وأنا "لُقْيَة" عابرة

اختارها الدانوب بمثابرة جهيدة

تصادف وجودها في بلغراد

بلغراد، شتاء ١٩٩١.

الشاى لا يقول شيئاً

إلى بيتار، عاشق الموسيقى

أودُّ أن أكتب لك قصيدة يا بيتار
بخط يدى، بالأحرف الصينية
محاطة بفضاء الموسيقى
لتُعلَّق على الحائط
وها هى ستارةٌ من ضوء القمر
تمسك بإيقاع الموسيقى لعازفها
ويذوب الشعر المعلَّق على الجدار
فى لوحة موغلة فى التجريدية
ويخرج بيكاسو ساخطا من لوحته
ليزِنَ حجمَ مَنْ تحدَّاه.
دعونا نزيح كابوس الحرب
وراء وسائد الأريكة الناعمة
ونُسكتُ التنهيدات والعبرات
ثمة مَنْ يقرأ الشعر لكن لا أحد يعرف

ما هى القصيدة ؟
أو يحتاج أن يعرفها !
إنَّ الشاى لا ينطق
لكنَّه ينزوى بهدوء فى ركن ما
وينشر شذاه.

بلغرد، شتاء 1993

أربع قصائد من السافاري الإفريقية

١ - سلسة واحدة

النشوة الوحشية التى تجعل الإنسان يرتعد
والجرح العميق الذى يحتُّ العظام
كلاهما يتلاشيان وراء الأفق
الملف الكامل لهذه الذكرى انمحى
وهذا السَّهب الواسع بلا نهاية بكل ما فيه
أشجار متسامقة حشائش كثيفة
رعود قاصفة، غيوم مخملية
ضوء شمس، ريح، مطر، وحياة إنسانية
ليس إلا
حلقات فى سلسلة الغذاء فى الطبيعة
إنما نوجد فقط لكى نعترف
بقدرة خالقنا الهائلة.

٢ - تصميم التمساح

ليس من نأمة تصدر
من الفكَّيْن الفاغريْن المدجَّجين بأنيابٍ حادة كالشفرات
وليس بوسع ما بعد الظهر أن يُزكِّى
الرائحة النتنة فى فكيه
ربِّ، كيف خطر ببالك
أن تخترع شكل التمساح؟
الشكوى إلى الله دليل ضعف
وأن نكرهه بسبب ذلك سيكون أمرا مضنيا.
لكن ربما كان ذلك نتيجة
ضربة طائشة من إزميله
روح التمساح المجروحة لعنة
ستحملها إلى الأبد كلُّ الأجيال القادمة
شمس الصيف تغرب خلف الأهوار
وسباته العميق يستمر بلا أى إزعاج
وكلَّما امتدَّ سباته، صار أكثر عمقا

٣- أفكار فرس النهر

التفكير العاطفى والهواجس
يخصان بنى البشر، ويبدو أن هذا يحدث
من خلال جيناتهم.

حشد متزاحم من البشر يجتمع قرب البركة
وبضعة حُراس يقفون خلف الأجَمَة
فقط ليلقوا نظرة على جسدى المغمور بالماء
ورغم أن الأمواج تتقدم وتنحسر
فإنَّ صفحة الماء تظلُّ رقراقة لا تتأثَّر
وهذه قاعدة لا يمكن نقضُها.
والجميع يذهبون كلٌّ فى طريقه فى آنٍ واحد
الشمس المُبهرة
طبقة الغمام السميكة
سوط البرق
وقطرات المطر الصغيرة التى تخثَّرت
فأصبحت قوس قزح.

وبوسعها كلها أن تفرَّ وتكرّ
ما بين السماء والأرض وتفتتح استعراضاً
موسيقيا من النايات وآلات النفخ البدائية
ولا توجد أجزاء منفصلة
ولا يمكن الاستغناء عن أى جزء منها فى الاستعراض
لكنَّ البشر لا يفهمون هذه الأمور!

وفجأة يدوى إعلان
تبثُّه حافلة سياحية قريبة:
ليحترس الجمع من الخطر!
وكل ذلك بسببى – فمن الواضح
أننى بعد أن أبرزت رأسى من تحت الماء ونشقتُ نفساً عميقاً
أصدرتُ صرخاتٍ صاخبة أثارت بالمقابل تنهيدات مجفلة –
يا لهؤلاء البشر المساكين!!
لقد بُرمِجوا
فى البرية الواسعة الفسيحة
مع الحشائش والأعشاب، وشجر الدوالى الملتفة

على أن يبرعموا ويذبلوا فى دورة

النمو المتقلِّبة المتلاطمة الموشَّحة بأطياف الأنين والتأوُّهات

غير قادرين على أن يخلِّصوا نفوسهم من الشَرَك.

ومن الواضح أخيراً

أنَّ عالمى تحت مائى الأخضر الموحل

– حيث ليس بوسعى حتى أن اتشقلب من أجلهم –

سيكون فى عقول البشر الضيقة الأفق كابوساً.

٤- متنزّه الحياة البرية

ليست لكل الغزلان
أجساد رشيقة وسيقان طويلة
إنّما نحن قطيع وحسب
من الأرواح الحياة التى تحبُّ أن تجول
عند حافة الغابة
الصّفات التى يصفنا بها البشر
هذه الحيوانات العليا
تهدّدنا بـِ
الخطر والموت
اللذين علينا أن نهرب منهما إلى أن يتمزّق لحمنا

أما الإطراء الذى يسحقنا
فإنّه يجلب لنا الذعر وحده وقد يصعقنا فى أى وقت
ويذكّرنا فجأة
بأن بطون الأسود والنمور الخاوية
ولعابها القانى فى الغابة

ينتمي للمكان ذاته –
متنزَّه الحياة البرية.

جوهانسبيرج، صيف 1992

إعلان قانٍ

عند اجتياز سهل قونيه فى تركيا

فى فوضى الخراف الهاربة
أنا حمل صغير مجروح ينزف
مضنى فى نجد قونيه
شمس أيلول المتقدة تلاحقنى بلا رحمة
ويَبْيَضُّ النجد
ويكفِّنه خمارٌ رملى مدوَّم
وجسدى الخالد ما يزال يحلم
كل ليلة بأضواء النجوم الباردة
الأغنية الخالدة الآن بعيدة فى الفضاء
والدرويش الذى يرقص رقصا لا نهائيًا
خلَّف وراءه صورةً، وليس رسالةً.
وبعد ألف عام بمحض المصادفة يمرُّ إنسان من هناك
فإذا بياقوتة مخضوضرة بين الصخور
فجأة ترفع رأسها

وتفتح عيناً أغمضتها الغفوة منذ أمدٍ طويل
وتُلقى نحوه ببعض سحرها
القديم

قونيه، صيف 1992

البستنة

منتصف العمر:
حين ترتقى قمَّةً عليكَ أن تتقدَّم
متسلِّقا بنشاط
لكن ها أنا ذا أتوقفُ عند إحدى منحدرات القمَّة
فى الريح والمطر
وها أنا أنظر ورائى نحو الطريق التى قطعتُها فى رحلتى.

ومازالت أمامى إلى القمة طريق صخرية، محفوفة بالخطر
زَلِقة، شديدة الانحدار ، رطبة، يغطيها الطحلب
أما الشجيرات المتشابكة فهى بغيضة ومخيفة
والنباتات المعترشة الذهبية توقع فى شركها الأشجار السامقة
وضوء الشمس يتناثر فى جزر صغيرة
ثمة زهرة كاميليا صامتة تشعُّ نقاء وضوء
وثمار الخشخاش المتوهجة تتباهى بمفاتنها الجميلة
ومثل شريط فيديو يسير إلى الأمام سريعاً

فإنَّ الموسيقى والصورة تتشوَّهان وتتقافزان فى أشكال
غريبة

وبعد منتصف العمر، ها أنا أعتزم الاعتناء ببستانى
سوف أُعدُّ مشهداً جليًّا مهيباً
وأتعلَّم تقليم الأغصان وتشذيب الوشيع والنباتات
وبناء بستان فريد من نوعه وفيه صخور سامقة.
وأعود إلى البيت وأجلس صامتة قرب الشباك
أريد أن أُحضر أصدقائى، الذين يحبون الطبيعة والذين
يعرفوننى
معرفةً وطيدةً إلى مكان قريب هنا.

الإنسان والشطرنج

صوت زِن* رقيق أكثر مما يجب، وناءٍ أكثر مما يجب
صليل السيوف يوقظ أبطالاً ينتمون إلى الماضى
زِقُّ الخمر يتدلَّى فى الزاوية مذكِّراً بالعزلة
والنساء الجميلات يتلاشين فى إطارات صور قديمة

عند الغسق، أسمع دائما صوتا
أحببته، وهو هديل الحمام الزاجل
فى هذا العالم المحموم، أخيراً
يجد الإنسان هنا راحة البال
الصوت الوحيد فى الأجمة الهادئة
هو ثرثرة الطيور
وفى الفيئ العميق
نرسم خطوط معركتنا
وندعو صديقا قديما

* زن: هى صيغة يابانية من العقيدة البوذية، وتنصُّ على أن الفرد يجب أن يجد داخل نفسه التفهم والرضى والحقيقة، ولا يعتمد على التعاليم المقدَّسة.

ليأتى ويلعب لعبة أخرى
خصانه وفارسه، مركبتى وجندىٌّ
الريح تهبُّ وتداعب حشائش الحقل
وأعلام البطولة حاضرة جانباً، والطبول صامتة
بالضبط قبَيْل موت الملك. هذه هى المعركة الأخيرة
قبل أن يحلَّ التجلِّى الأخير.

القميص الصوفى الأحمر

تأخذ الزوجة

قميص زوجها الصوفى الأحمر المغمَّس بالعرق

وتنظفه بعناية وتعلِّقه

أسفل النافذة لكى يجفَّ

نعومة قماشه

جودة نسيجه

لونه الأحمر النبيذى

والمزاج الذى كانت تتحلى به حين اشترته له

ذات يوم فى شهر ما

فى سنة ما

كلها جميعا تعود إلى ذاكرتها

النعومة تيبست

وترهل النسيج المشدود

والجودة فقدت بريقها

أما البهجة الغامرة للخمرة الكهرمانية

فقد استحالت إلى ميزانيات، حواسيب بيتية
بِقالة، أدوية، وقرارات ضرورية بغيضة
والقميص الصوفى الأحمر المعلَّق فى هواء الصباح الطلق
فسوف يجف تماماً بعد ساعات قلائل
دون أن يترك أثراً للماء على الأرض

الزوج والزوجة
ماء يتبخر فى الهواء
تكافل حميمى متشابك تشابكا يصعب فكُه
مقدَّرٌ لهما
أن يقضيا سنين حياتهما الطويلة معا.

طيران منفرد

لم يكن أبداً
من شخص ليسمع أغنيتى
إنَّما فقط الشمسِ الآفلة، والأشعة المنحدرة
وغيوم الغروب المطرَّزة
على حافة السماء

لا أحد
أسمانى ذات يوم طائراً غرِّيداً
وأنا صاحب أجنحة قوية ونظرة حادة كالسيف
وهما من مميزاتى

وحتى إذا
عصفت الريح بوحشية، وادهمَّت الغيوم
وأصبحت السماء موجة قاتمة
وانهمرت الأمطار بغزارة
فإننى أحدِّد هدفى، وأواصل خفق أجنحتى

حتى فى نهاية المطاف
يختفى تدريجيًا عن النظر
نسرٌ محلِّق
متحولاً عند حافة العالم إلى نقطة صغيرة
هى الجملة الختامية هى النغمة الأخيرة فى أغنيتى.

لا للشكوى

(ردًّا على مديح بول أنجل بأن الصينى لا يشكو أبدا)

بول؛ أقول لك بأن الرضوخ للتعذيب
من دون شكوى
ليس فضيلة صينية
ففى الشرايين التى تجرى فيها مشاعرهم
يوجد نصل حادٌّ مخفىٌّ
وغضب واستياء يغليان فى الأعماق
مثل بركة كبيرة من المياه الراكدة
تزداد حجما كل يوم فى الوحل
الحياة الغالية
الحُسن النادر
العبقرية، الإبداع
أجناس الفضائل
والعقول غير الملطخة مثل ضوء القمر نصوعا

كلها معا تُداس بوحشية
لكن الأسوأ من كل هذا
أنه سيأتى يوم
يبدأ فيه هذا المستنقع الموحل
بالاضطراب
فيقذف فيضانا من النيران والدخان
ويحوّل الحقول إلى رماد
والبيوت إلى أطلال مفحَّمة
أما الناس فى الريف
والمواشى الداجنة
فسوف تكون وقودَ هذا الحريق
ورغم أنه سيظلُّ ثمة أناس يؤمنون
بأن المعاناة ليست إلا ثمنا على الإنسان أن يدفعه
لينال امتياز تعذيب الآخرين
بهذا المرض الذى دام ألف عام
فإن الشعب الصينى
ربع البشرية
بدا شيئاً مشوَّها، سقيمًا، غريبًا

شيئاً لا يوجد له فى القاموس اسمٌ
حتى الآن

متى سيشعر الشعب الصينى
بالوحشية التى تحمَّلها صامتاً؟
ويلفظ المهانة والسم
من داخله، كما يبصق جرحٌ قيحه
حتى يجرى هذا الشعب كنهر صافٍ
يتدفق على سهوب البلاد
ويغمر الجبال الشاهقة الأبيَّة
والسهول مترامية الأطراف
والمدن الكبيرة التى تعجُّ بالحياة
والقرى المعزولة الهادئة
عندئذ سيدرك قوة الصرخة
كتحدٍّ ضد الشر
كاتهام ضد اللاإنسانية
ثم يبدأ حياته ثانية
بالغفران الصادق والمتسامح

لكنى يداوى الأسى الألَمَ

ويعمَّ الخير

وتسود الفضيلة

السماوات فى ذلك اليوم ستكون

مغسولة بأمطار الربيع

وستجلب معها الزهور

التى سوف تتفتَّح محبَّة

فى حدائق عهد جديد.

مراحل الحياة الأربعة

أن تعيش

تحت سبلات الشمس التى تبهر البصر
نحن حفنة حبوب ذهبية اسقطتنا
أشعةُ الشمس، ونثرتنا
ونحن نتشقلب، نتباعد، نتقافز
فى كل بوصة من الزمن والفضاء الفسيحين

أن تشيخ

بعد أواخر الخريف، الأزهار والأشجار
تخزّن الأنسجة الحلوة العطرة، التى جمعتها
طوال العمر داخل نواة قاسية
تحجَّرت برفق لكن بصلابة
فاتّخذت النواة شكلا غريبا

أن تمرض

الدودة التى تغزل الحرير
تقف فوق أوراق التوت القانية المصفرّة
أما الأوراق التى لم تجف
فإنّ رطوبتها تنفذ فى الجسم المجدول الذى يتلوّى بوهن

أن تموت

اكتشاف هائل!
حرير دودة القز والنجيل الصينى
قد نُسِجَت منهما بذلات مقصبة وملابس صيفية
ولا أحد يذكر أنهما أصلا كانا بلون الأصفر الفاتح
والأخضر اللامع

الغسق

غيوم الغروب الوردية
امرأة تحبُّ التبرج والزينة
وبلمسة هنا ولمسة هناك
تعج الألوان الثقيلة معًا

ذاك الرجل، بعد أن يلجَ إلى كثير
جدًّا من الشوارع سيئة السمُّعة
فإنه يتذكَّر أخيراً ضوءًا أصفر
شاحبا يطلُّ من نافذة ما.

الصحيفة

عند الفجر نسخة من صحيفة الليلة الماضية
تتمطَّى بكسل فى عراء الشارع
وشاحنة فارغة
تمرق فوقها بضجَّة وتقلبها فى الهواء

طفل قاصر ضائع
سيدة شابة معروفة فى عروض الأزياء
امرأة تطالب بالطلاق تقدِّم اتِّهاماتها فى المحكمة
اتهامات بالفساد والإهمال بحق أحد السجناء
وعلى نحو متأخِّر جدًا تُسْمَعُ ثمةُ حشرجةٌ "يا للحسرة!"

امرأة ترتدى زيًّا مقلَّماً
بالأسود والأصفر تنظِّف الباحة
تستعمل مِدَمَّةً* ذات ذراع طويلة
وتكنسكِ فى كومةٍ من الأوراق البالية.

---

* المدمَّة: هى أداة ذات أسنان طويلة لجمع العشب أو تسوية التربة.

الدخان

زفير ثمَّ شهيق
وكلَّ يومٍ ثمة رحلة إلى الفم ذى النتوءات السوداء
والفجوات الصُّفْرِ بين الأسنان
النهار والليل
يتعاقبان فى دورة دائمة
فجأة ثمة نار تسطع، ثم فجأة تخمد، تبثُّ إشارات ضوئية
الحياة احتراق سيجارة متدلية من شفتين.

تحت المطر، فى الخمر

وأنا أصحو من سكرى، أدهن باب بيتى
وبالمصادفة أنتزع قطعة من لحاء الشجر
لتكون لوحة عنوان لبابى

ثم أنتَ تصل، فلم أحتفظ من قبل بضيفٍ حتى أواخر الليل
ومعاً نعدُّ الموجات فى بِريكات المطر خارج بابى

أجل؛ حتى لو أمطرت قليلاً
أنت تحبُّ أن تقف قليلاً عند الصالة

ربما سترغب ذات مرة
بأن تقتحم دارى دون موعد
فلن أكون أنا التى ستعيق طريقك

فأنا مستعدة لأسمح لك بدخول صومعتى
ولكن إذا جعلك بابى المفتوح على مصراعيه

فاغر الفاه، مندهشاً
فإننى أخشى آنذاك أن تتردَّد
وتُبطئ من مشيتك أمام الباب

وفى مكانى المنعزل
يتدفق شلال قزحى يتجه من الأسفل إلى الأعلى
وتحت المطر الأخضر الغامق العميق؛ بيتى
هل تحب أن تمكث هذه الليلة فى عراء حقلى؟
فى الخارج، النيازك تتساقط مثل المطر.

الأغنية الأخيرة

آنئذٍ ، كانت أغنيات زيز الحصاد
تلك الحشرة المغنية التى تحبُّ أن تتنهَّد
قد وصلت حافة شمس الخريف
والنسيم يحمل الندى
فيما توقف طائر الصُّفَّر عن الشدو

دعوا أزهار البرية كلها تكون
حبنا الكبير وحسب!
ودعونا نؤمن أن ثمة وقت للأزهار
ووقت للأغنيات الأخيرة
وإننا لسنا مضطرين أن نواجه الموت وحدنا أبداً
إذا ما استطعنا أن نرفض ذلك.

الأمر المهم، حتى هذا اليوم هو
أننى ما أزال ذاك الطفل خارج البيت
واقفاً فى المرجة وفى يدى خيط مقطوع

أنظر ببرود نحو ذلك المكان
الخالى من الزهور، المكسو بالحشائش
أرهف سمعى وأصغى
فلا أسمع إلا الريح هدّارة
متجاهلة ضياع طيارتى الورقية.

بورتريه

فى الظلِّ الرطب المتسايل
ثمة ذكرى تترنَّح
اسمُ بيتها هو: الماء

لكن سوء الطالع سيحالفها
فتواجه يوماً صافياً
وتتلاشى
حالما تشرق الشمس

التعريف بالشاعرة:

تشانج شيانج – هو ولدت فى هونج كونج عام ١٩٣٩، وهى تعـيش فى تايوان منذ ١٩٨٤ حتى الآن. منذ طفولتها كانت شـيانج – هـو تميل إلى هدوء الريف وبساطته، من جهة، ومـن جهـة أخـرى، كانـت دائماً تجذبها عواطف الحياة الإنسـانية ومشاعرها الصادقة. ومن وجهة نظرها فإن الفن يسـعى للجمـال والفضـيلة، وهى تؤمن بأن كل حقيقة فى الحياة يمكن للشعر أن يعبِّر عنها.

عام ١٩٨٤ اشتركت شيانج تشيانج – هو فى برنامج الكتابة العالمى(International Writing Program) الذى تقيمه جامعـة أيـوا فى الولايات المتحدة الأمريكية. وعام ١٩٩٢ مـنحها اتحاد الشعراء لقب شاعرة الشعراء، وقد وفَّرت لها رحلاتهـا الواسعة فى أرجاء العالم تجربة خصبة نلمسها فى شعرها.

وتضـم أعمال شيانج تشانج – هو ثلاثة دواوين من الشعر، وأربع مجموعات من المقالات، وكتاب مختارات من الشعر والنثر، وثلاث مجلدات ترجمتها من الإنكليزية إلى الصينية.

ولهـــا كــتابان مترجمان إلى الإنكليزية، وكتاب ثالث مترجم إلى اللغتين: الصربية والرومانية.

وقــد عملت فى منظمة العفو الدولية "امنيستى" فى تايبى" ، وقـــد حـــرررَّت كـــتابا بعنوان "الحياة أو الموت"، حول إلغاء عقوبة الإعدام، وقد انضمت إلى جمعية القلم الدولية – فرع تايـــبى عـــام ١٩٩٢، وهى تدير حالياً برنامجاً إذاعياً حول الشعر فى تايبى.

تشانج شيانج – هو، شاعرة بارزة

بقلم ألكسندر بيتروف (جامعة أوهايو ستيت)

(وورلد ليتراتشير توداى، ربيع ١٩٩٣)

الشـــاعرة الصــــينية التايوانية المعروفة تشانج شيانج – هو (تشـــانج هو الاسم العائلى)، تكتب عن ذاتها وعملها، وهى بذلـــك تطـــرح رؤية متميزة فى الشعر الصينى الحديث منذ ١٩٤٩. ورغـــم إنهـــا تؤكد قائلة: " بأن " من الطبيعى أننى أكتـــب "شـــعراً جديـــداً" لا يحتذى بالتقاليد المتبعة"، فإنها لا تجذبهـــا نظريات وعقائد عصرها ولا الخلافات الجدلية التى تـــتعلق بالشعر "الكلاسيكى"، أو "الحديث"، أو "الشرقى"، أو "الغربى".

وتكتـــب قائلة: "اعتقدنا بأن "الشعر الجديد" ليس حكراً على النخـــبة القليلة الذين يمكنهم أم يناقشوه فى أبراجهم العاجية خـــلال حفلة لشرب الشاى فى المساء، بل شعرنا بأن الشعر يجب أن يكون انعكاساً وسجلاً للأرواح التى نراها فى الحياة اليومـــية "هـــذا التوجه قريب من أفكار برتولد بريخت، التى أثَّـــرت على الشعر الألأمانى، خاصة الشعر الألمانى الغربى بعد الحرب العالمية الثانية.

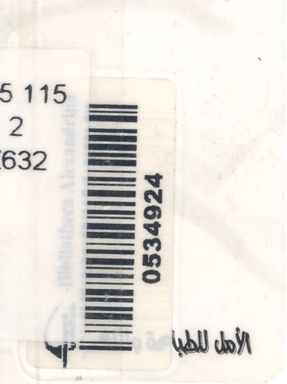
وتجـــارى الكثير من قصائد تشانج هذه الأفكار. وهى عادة تســتغل جيداً "المادة الخام" التى تستوحيها من الحياة اليومية واللغة العامية. تهمها القيم العائلية والحياة الخاصة. وتشانج حساســة جدًّا للنظم الاجتماعى بشتى أنواعه. والمثال على ذلــك قصـــيدتها " لا للشكوى" التى ترفض فكرة أن المعاناة دون شــكوى هـــى إحدى مميزات الشعب الصينى، بل إن شــعرَها ينبع من إرادة قوية ومن إيمان بالعدالة. ورغم أن إيمانهـــا بالعدالـــة يشير إلى أن المقاومة لدى كل فرد ولدى الشعب بشكل عام لها معنى كبير، ولكن إيمانها ليس علامة علـــى أى نـــوع من المثالية. إن تشانج شيانج - هو شاعرة بارزة، ليس فقط فى مدار الشعر الصينى وحسب.

المحتويات

رقم الإيداع: ١٧٣٤٤ / ٢٠٠٢

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)

" فى هذه القــــصائد المختارة من أعمال الشاعرة الصينية "تشانج شيانج - هو" يتجلى وجه الشــعر الحــافل بــالجمال والبســاطة والحــكمة، فى صياغة خالية من الغموض والتعقيد مزدانة بالاقتصار المشروح والإيقاع الهادئ المنضبــط والصورة المســتمدة من تفاصيل الحياة اليومية"



الثمن : جنيه واحد